

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٩٦ : خ - هجران القرآن الكريم ، خ - الأحنف بن قيس .
لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٨-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنها ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

هجران القرآن الكريم :

أيها الأخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم آية كريمة هي قوله تعالى :
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنْ قَوْمٍ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾

[سورة الفرقان : ٣٠]

فكيف يهجر كتاب الله وهو بين أيدينا نقرؤه صباحاً ومساء ؟
أيها الأخوة : قال بعض العلماء : هجران القرآن أنواع إما بعدم سماعه ، أو بعدم العمل به ، أو بعدم تحكيمه ، أو بعدم التحاكم إليه ، أو بعدم تدبره ، أو بعدم تلاوته ، أو بعدم حفظه ، أو بعدم الاستشفاء به من أمراض النفوس .

أيها الأخوة الكرام ؛ الله عز وجل يقول :

﴿وَمَنِ اللَّيْلُ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾

[سورة الإسراء : ٧٩]

تهجد بالقرآن الكريم ، اقرأ القرآن الكريم في الصلاة وخارج الصلاة ، صباحاً ومساء ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما ورد في الصحيحين :

((تَعَااهُدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُ أَشَدُ تَفَلْتاً مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقُلِهَا))

[البخاري و مسلم عن أبي موسى الأشعري]

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك حقائق مؤسفة ، فهناك إنسان - والعياذ بالله - يهجر القرآن لأنه لا يؤمن به ، وهناك إنسان يهجره فلا يسمعه ولا يصغي إليه ، وقد يؤمن به لكن لا يتعلم ، وقد

يتعلمها لكن لا يتلوه ، وقد يتذمّر لكونه لا يتدبره ، وقد يتذمّر لكونه لا يعمل به ، فلا يحل حاله ، ولا يحرم حرامه ، ولا يحكمه ، ولا يتحاكم إليه ، ولا يستشفى به ، وهذا من هجران القرآن الكريم أيها الأخوة ، إنه بين أيدينا .

أيها الأخوة الكرام ؛ من أعرض عن القرآن الكريم فاته خير كثير ، والإنسان يعرض عن القرآن الكريم بقدر ما يعرض عن ربه ، فإذا كان مع الله كان مع القرآن الكريم ، وإذا كان معرضاً عن الله كان معرضاً عن القرآن الكريم .

أهل القرآن هم العاملون به و العاملون بما فيه :

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا هُمْ سَرَاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾

[سورة فاطر : ٢٩]

قال بعض السلف : نزل القرآن - ودققوا في هذه الكلمة - ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً ، أي يتلونه فقط ، أما كمنهج فيه أدق التفاصيل - كآيات تحريم ، كأحكام شرعية - فيتلونه ، إنما أنزل هذا القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً .

لذلك أيها الأخوة دققوا في هذا التعريف ، من هم أهل القرآن ؟ هم العاملون به ، والعاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظه - وهذا شيء كبير - ولم يفهمه ، ولم يعمل به ، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم ، كلام دقيق .

يقول بعض العلماء : المقصود بقراءة القرآن تدبره ، والفقه فيه ، والعمل به ، وتلاوته ، وحفظه كوسيلة إلى فهم معانيه .

ثمرة القرآن اليانعة العمل بما فيه :

أيها الأخوة الكرام ؛ ثمرة القرآن اليانعة العمل بما فيه ، ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، وقد قيل : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه .

أيها الأخوة : إذا عمل الإنسان بما في القرآن صار القرآن حجة له عند الله تعالى ، أما إذا عطل العمل به فقد صار القرآن حجة عليه ، فالقرآن إن عملت به كان حجة لك ، وإن لم تعمل به كان حجة عليك ، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم في معرض أنه يسأل الناس يوم القيمة :

﴿لَمْ تَكُنْ أَيَّاتِي تُتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

[سورة المؤمنين : ١٠٥]

فمن اقتصر على تعلم القرآن وتلاوته وتدبره ولم يعمل به فقد أقام الحجة على نفسه، لذلك يقول بعضهم : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه ، كيف ؟ يقرأ قول الله سبحانه وتعالى :

﴿فَجَعْلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ﴾

[سورة آل عمران : ٦١]

وهو يكذب .

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

[سورة هود : ١٨]

وهو يظلم ، إذا كان يكذب ويظلم فعليه لعنة الله ولو أنه يتلو كتاب الله ، آن الأوان أيها الأخوة لنبحث عن الخل ، أين الخل ؟ هذا الكتاب بين أيدينا ، وهو من فضل الله علينا ، ولكن لا يكفي أن نضعه في صدر البيت ، ولا يكفي أن نضعه في مكان مشرف في البيت ، ولا يكفي أن نعلقه على المركبة ، ولا يكفي أن ننطوه ، لابد من تطبيقه ، ودقق في هذا المثل ، لو أن إنساناً مريضاً ذهب إلى طبيب وصف له وصفة ، لو أنه قرأ الوصفة هل يشفى ؟ لو أنه وضعها في إطار هل يشفى ؟ لو أنه وضعها في مكان مشرف في البيت هل يشفى ؟ لو أنه فهمها هل يشفى ؟ لو أنه اشتري الدواء هل يشفى ؟ لا يشفى إلا إذا استعمل الدواء .

من هجران القرآن :

١ – هجران تحكيمه والتحاكم إليه والعدول عنه لغيره :

أيها الأخوة الكرام ؛ من هجران القرآن تحكيمه والتحاكم إليه ، والعدول عنه لغيره ، قد يعدل الإنسان عن القرآن إلى الغناء ، أو إلى الشعر ، أو إلى كلام آخر ، أو إلى الصحافة ، يشغل بسماع كل شيء ، وبقراءة كل شيء إلا القرآن الكريم الذي هو كتاب الله ، الذي بيده وبين كلام الناس كما بين الله والناس ، فضل كلام الله على خلقه كفضل الله على خلقه .

أيها الأخوة الكرام ؛ كم من مشكلة يعاني منها المسلمون ويختلفون في الحلول فلو عادوا إلى كتاب الله ، وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لوجدوا الحل الأمثل من عند الخبير ، ألم يقل الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾

[سورة النساء : ٥٩]

مع أمرائكم ، أطیعوا الله استقلالاً ، وأطیعوا الرسول استقلالاً ، فإن تنازعتم مع أمرائكم أو علمائكم لأن أولي الأمر تعني العلماء الذين يعلمون الأمر ، والأمراء الذي يطبقون الأمر ، وهذا فهم الإمام الشافعي .

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

[سورة النساء : ٥٩]

علامة إيمانك بالله ، وعلامة إيمانك باليوم الآخر ، أنه إذا اختلف في قضية إن فكرية ، أو عقدية ، أو تطبيقية ، أو مالية ، إن اختلفنا في مشكلة عامة إيماننا بالله واليوم الآخر أن نرد هذه المشكلة إلى كلام الله وإلى سنة نبيه كما فهم أصحاب القرون الثلاثة .
أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الله عز وجل :

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾

[سورة الرعد : ٢٧]

قال بعض المفسرين : الحكم معناه ما فيه من الأحكام ، وقال بعضهم : أراد الله عز وجل بالحكم العربي القرآن كله ، فإنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم ، بدليل أن الله عز وجل يقول :
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾

[سورة النساء : ٦١]

حكم الله في كل التفاصيل في كتاب الله ، وفي بيان رسول الله لهذا الكتاب .

٢ – ترك تدبره و تفهمه :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن هجران القرآن هجران تدبره وتفهمه ، قال بعض المفسرين : وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، قال تعالى :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[سورة النساء : ٨٢]

الله عز وجل عاب على هؤلاء الإعراض عن التدبر في القرآن ، والتفكير فيه وفي معانيه ، ودللت على ذلك الآية الكريمة :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾

[سورة محمد : ٢٤]

آياتنا في القرآن الأولى :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[سورة النساء : ٨٢]

والآية الثانية :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾

إذا الله عز وجل يحضنا على تدبر القرآن الكريم ، يقول الله عز وجل في هاتين الآيتين آمراً عباده بتدبر القرآن وتفهمه ، وينهى أشد النهي عن الإعراض عنه وعن القلب المغلق .

لذلك أليها الأخوة قال الإمام الحسن : ما تدبره بحفظ حروفه ، وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن ، ما يرى له في قراءة القرآن من خلق ، ولا من عمل يتميز به على من سواه . إذا قرأت القرآن ينبغي أن تكون متقدماً متوفقاً .

أليها الأخوة الكرام ؛ والدليل على ذلك أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفروطون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبتواضعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون " .

٣ – هجران سماعه :

أليها الأخوة الكرام ؛ ومن هجران القرآن هجران سماعه فقد قال الله تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغُوا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة فصلت : ٢٦]

الغوا فيه أي عبيوه ، أظهروا من خيالكم مسالكه فيما تتوهمن ، أي إذا نلني لا تستمعوا له ، وأناس كثرون وهو يقلب بالمحطات الإذاعية فإذا وصل إلى القرآن تجاوزه إلى محطة أخرى . أليها الأخوة : ومن معاني الغوا فيه أي لا تستمعوا له ، بل كما قال : شوشاوا على قارئه بالمكاء والتصفيق والتخليط كما كان يجري في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل المشركين ، لكن الله عز وجل يقول :

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لِفَلَكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الأعراف : ٢٠٤]

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

أليها الأخوة الكرام ؛ ملخص هذا الكلام عن القرآن قوله تعالى :

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾

نحن ظننا أن الشارع العربي حركته ضعيفة ولا سيما تقاء الأحداث الكبرى التي ألمت بهذه الأمة، أحداث كبرى تنهى لها الجبال ، ما تحرك الشارع العربي ، ولكن تحرك لمسابقة في الغناء، بكى أناس وأناس حطموا زجاج مركباتهم لأن فلانة لم تنجح في المسابقة ، هذه الحركة ترضي أداء الإسلام ، هذا هو التحرك الذي يتحركه المسلمون للغناء والطرب ، أما لآلية تنتهك حرماتها، أو لحكم لا يطبق ، فلا أحد يتكلم .

أليها الأخوة الكرام ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا كَانَ فَبِكُمْ ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصِيلُ لَيْسَ بِالْهَمْزِلِ))
من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله ، وهو حبل الله المتين ،

وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَرِيعُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ
الْأَسْنَةُ ، وَلَا يَشْبُعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا خُلُقٌ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَابَهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ
تَنْتَهِ الْجِنَّإِذْ سَمِعْتُهُ حَتَّى قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَابًا يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ فَأَمَّا بِهِ ، مَنْ قَالَ بِهِ
صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرًا ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ))

[الترمذى عن علي رضى الله عنه]

أيها الأخوة الكرام ؛ القرآن ربِيع القلوب ، القرآن حياة النفوس ، القرآن حبل الله المتنين ، وقد
قال الله عز وجل :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾

[سورة آل عمران : ١٠٣]

القرآن أيها الأخوة مصدر رئيس لمعرفة الله عز وجل فهو كلامه ، ومن خلاله نعرف الله عن طريق التدبر . ومصدر آخر وهو خلق السموات والأرض ، فهي خلقه ، ومن خلالهما نتعرف إلى الله عن طريق التفكير ، والحوادث أفعاله ، ومن خلالها نعرف الله عن طريق النظر والتأمل ، وأصل الدين معرفة الله عز وجل .

القرآن الكريم شفاء للنفوس :

أيها الأخوة الكرام ؛ قيل : لا يحزن قارئ القرآن ، وكيف يحزن وقد قال الله عز وجل:
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكْرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل : ٩٧]

خالق السموات والأرض وعد كل إنسان يطيع الله عز وجل ، ويتبع منهج كتابه جل جلاله أن يحييه حياة طيبة ، وهذا وعد إلهي فوق المكان والزمان والظروف والأزمات ، وفوق كل شيء ، كيف لا يحزن من أعرض عن القرآن والله تعالى يقول :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَتَحْسُرُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه : ١٢٤]

كيف لا يسعد الإنسان ولا تطمئن نفسه ولا يستثير عقله وهو يتلو قوله تعالى :
﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقُى﴾

[سورة طه : ١٢٣]

لا يضل عقله ولا تشقي نفسه ، كيف يحزن على ما فات ويخشى مما هو آت وهو يتلو قوله تعالى :

﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَىِي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ﴾

[سورة البقرة : ٣٨]

لو جمعت الآيتين كان الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ، ولا تشقي نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت .

أيها الأخوة الكرام ؛ كيف لا يشفى من قرأ القرآن وتذيره وهو يتلو قوله تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعْدَبِينَ﴾

[سورة الشعراء : ٢١٣]

وكيف لا يطمئن والأمن أعظم حاجة للإنسان ؟

﴿أَطْعِمُهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمِنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

[سورة قريش : ٤]

وكيف لا يطمئن من قرأ القرآن وطبقه وهو يتلو قول الله تعالى :

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام : ٨٢-٨١]

لا يحزن قارئ القرآن ، كيف يقلق قارئ القرآن ؟ كيف يشعر بالخوف وهو يتلو قوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية : ٢١]

القرآن الكريم شفاء للنفوس .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

الأحداث التي يعيشها الناس تمرض نفوسهم ، توقعهم في قلق شديد ، توقعهم في قلق شديد ، في خوف ، في تنازع ، في ضياع ، في تساؤل ، يأتي القرآن الكريم ويقول :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية : ٢١]

كيف يحزن قارئ القرآن وهو يتلو قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾

[سورة فصلت : ٣٢-٣٠]

كيف يقلق قارئ القرآن وهو يتلو قوله تعالى :

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعَاهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص : ٦١]

كيف لا يطمع قارئ القرآن في معية الله والله عز وجل يقول :

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعْكُمْ﴾

[سورة المائدة : ١٢]

فإذا كان الله معنا فمن علينا؟ لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن ينالوه بأذى لا يستطيعون :

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعْكُمْ﴾

[سورة المائدة : ١٢]

بشرط :

﴿لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَنْتَمُ الزَّكَاةَ وَأَمْنَتُمُ الْرِّسُلَى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً لِّلْكَافِرِنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾

[سورة المائدة : ١٢]

كيف نخشى الهزيمة ونحن نتلوك قوله تعالى :

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٠]

زوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعوده للمؤمنين :

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٠]

باية أخرى :

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة الأنفال : ١٠]

الله وحده ينصر .

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٠]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةً يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٦٥]

القرآن الكريم ربِيع القلوب وشفاء الصدور :

أيها الأخوة الكرام ؛ كان أصحاب النبي رضوان الله عليهم كما جاء وصفهم في القرآن الكريم :

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[سورة الذاريات : ١٧-١٩]

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفَقُونَ﴾

[سورة السجدة : ١٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ القرآن الكريم ربِيع القلوب ، وشفاء الصدور ، هو حبل الله المتن ، هو منهج الله القويم ، من تمسك به نال الدنيا والآخرة .

خير إنسان من تعلم القرآن و علمه :

يا أيها الأخوة الكرام ؛

((خيركم - أبى الخيرية المطلقة - من تعلم القرآن و علمه))

[البخاري عن عثمان بن عفان]

يقول الله عز وجل :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

[سورة النساء : ٧٧]

وفي آية أخرى :

﴿ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء : ١١٣]

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين ، إن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة .

((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترة ؛ ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر))

[أبو داود و الترمذى و النسائى ابن ماجه عن أبي موسى]

((لا حسد إلا في اثنين ؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل و آناء النهار ، ورجل

آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل و آناء النهار))

[متّفق عليه عن أبي هريرة]

من قرأ آية و لم يطبقها فهو في حكم من لم يقرأها :

أيها الأخوة الكرام ؛ اقرأ القرآن ما نهاك كما يقول عليه الصلاة والسلام :

((اقرأ القرآن ما نهاك ، فإن لم ينهك فلست تقرؤه))

[الطبراني في الكبير عن ابن عمرو]

إن تقرأ الآية فلا تطبقها فأنت في حكم الذي لم يقرأ القرآن :

((اقرأ القرآن ما نهاك ، فإن لم ينهك فلست تقرؤه))

[الطبراني في الكبير عن ابن عمرو]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتنمى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـّـيـ وـسـلـّـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ .

تـبـرـ القرآنـ الـكـرـيمـ :

أيها الأخوة الكرام ؛ روت الكتب قصة الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء قيام الليل عن الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً فعرضت له هذه الآية :

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنبياء : ١٠]

فانتبه فقال : على بالمصحف لأنتم ذكري اليوم حتى أعلم من أنا ، ومن أشبه ، أي لـما علم أن القرآن الكريم قد ذكر جميع صفات البشر وبين طبقاتهم ومراتبهم أراد أن يبحث عن نفسه ، هذا هو التدبر ، كلما قرأت آية في كتاب الله اسأل نفسك هذا السؤال وقد يكون محراجاً أين أنا من هذه الآية ؟

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور : ٣٠]

أين أنت من هذه الآية ؟ إن الله يحب الصادقين ؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٢]

أين أنت من هذه الآية ؟ فهذا قال : أريد أن أرى من أنا ؟ وفي أي الطبقات ؟ وفي أي المراتب ؟ ففتح المصحف ومرّ بـقوم :

﴿كَانُوا قَبْلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجِعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومٌ﴾

[سورة الذاريات : ١٧-١٩]

وـمرـ بـقـومـ :

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[سورة السجدة : ١٦]

وـمرـ بـقـومـ :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٣٤]

ومن بقى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

فوقف الأحنف ثم قال - لعله قالها تواضعاً - : اللهم لست أعرف نفسي من هؤلاء ، أي لم يجد هذه الصفات في نفسه تماماً حتى يعد نفسه من هؤلاء ، ثم أخذ الأحنف السبيل الآخر ، فمرّ بقوم :
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[سورة الصافات : ٣٥]

ومن بقى :

﴿ مَا سَلَكْتُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصْلِينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمُسْكِنِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْبِيْقَيْنُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

[سورة المدثر : ٤٢-٤٨]

فوقف الأحنف وقال : للهم إني أبرأ إليك من هؤلاء ، أنا لست من هؤلاء ، لا من هؤلاء ، ولا من هؤلاء ، فما زال يقلب ورق المصحف ويلتمس في أي الطبقات هو حتى وقع على هذه الآية :
﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة : ١٠٢]

قال : أنا من هؤلاء ، فإذا قرأ أحدنا القرآن ، هذا هو التدبر ، والفرق بين التدبر وبين التفسير أن تسأل نفسك في التدبر أين أنت من هذه الآية ؟ هل أنت مطبق لها ؟ فإذا طبقت هذه الآية قطفت ثمارها .

العبرة بالتطبيق :

أيها الأخوة : أنا مضطر لهذا المثل : بربكم أن تنطق بلسانك مئة مليون دولار ، ينطقها كل إنسان ، وقد لا يملك قرشاً واحداً ، ما هو الفرق بين أن تنطق بهذه الكلمة وبين أن تملك هذا المبلغ بمقاييس الأرض ؟ ما الفرق بين أن تقول : مليار دولار ، أو تسعون ملياراً - ثروة بلكيت تقدر بتسعين ملياراً - بين أن تنطق بهذه الكلمة وبين أن تملكتها ، صدقوا إليها الأخوة هو الفرق نفسه بين أن تقرأ آية قرآنية وأنت لست مطبقاً لها وبين أن تقرأها وأنت مطبق لها . كان عليه الصلاة والسلام قرآننا يمشي ، السيدة عائشة سئلت عن خلقه ؟ فقالت : " كان خلقه القرآن " .

الآن التركيز ينبغي أن يكون على التطبيق ، معلومات وفيرة جداً ، الآن ثورة معلومات ، أي تسؤال الحاسوب سؤالاً يأتيك عشرة آلاف جواب ، الأمور الإسلامية ميسورة بشكل يفوق حد الخيال ، العبرة بالتطبيق ، كان الصحابة الكرام يحفظون الآيات العشر ويطبقونها ، ولا ينتقلون إلى غيرها إلا إذا طبقوها .

فيما أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من قراءة القرآن يومياً ، وسبب هذه الخطبة أنه في خطبة سابقة تحدثت عن محبة الله عز وجل ، وكان أول بند من بنود أسباب محبة الله تلاوة القرآن ، أردت أن يكون هذا الموضوع تلاوة القرآن ولكن على النحو الذي ينبغي ، أن تتلوه وفق قواعد اللغة العربية ، وأن تتلوه إن أمكن وفق قواعد التجويد ، وأن تفهمه ، وأن تتدبره ، ومندوب أن تحفظه ، لكن مركز القلق أن تطبقه .

الآن نحن بحاجة إلى مسلم يطبق القرآن يتحرك أمامنا ، إن حدثك فهو صادق ، وإن عاملك فهو أمين ، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف ، تحتاج إلى قرآن يمشي ، تحتاج إلى مسلم متحرك .
أيها الأخوة الكرام إني داعٍ فأمنوا :

الدعاء :

اللهم اهدا فينا هديت ، وعافينا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، وإنك لا يذل من وليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زادنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأذل الشرك والمرجفين ، اجعل تدميرهم في تدميرهم ، أرنا قدرتك في تدميرهم يا رب العالمين ، اجعل بأسمهم بينهم ، اصرف بأسمهم عنا يا أرحم الرحيمين ، وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لما تحب وترضى ، اجمع بينهم ، ووحد كلمتهم يا أكرم الأكرمين ، إنك على ما نشاء قادر وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين